دراسات للمستشرقين

قيمة التراجم الأعجمية
الموجودة للقرآن
للعلامة الأستاذ الدكتور أ . فيشر

— ٢ —

ذكر الأستاذ ى . شاخت J. Schacht فى بدء مقدمته لكتاب للمطالعة فى تاريخ الأديان عنوانه :
("Der Islam. Mit Ausschluss des Qor'ans," Tübingen 1931.) « الإسلام ، باستثناء القرآن » أنه استبعد القرآن من كتابه لأنه كما قال « توجد للقرآن تراجم وافية بالحاجة وبعض التراجم الألمانية كاملة وافية ، وعلى المرء أن يختار منها ما يشاء » ويصح أن يشمل حكمه هذا التراجم الانجليزية أيضاً ، التى يعتبرها الكثيرون أحسن التراجم (وإنى أضع اعتبارهم هذا موضع التساؤل ، كذلك يصح أن يشمل حكمه هذا الترجمتين الفرنسيتين الأولى لكازيمرسكى Kasimirski والثانية لمونتيت Montets ، كما يشمل الترجمة السويدية لزترستين Zetterstéen والترجمة الايطالية لبونلى Bonelli وبعض تراجم أخرى

سبق لى أن كتبت ما يلى سنة ١٩٠٦ : — « لا يداخل الذى تعمق فى أسرار العربية شك فى أنه لا يوجد بين تراجم القرآن — سواء كانت ترجمة كاملة له أو هى قاصرة على بعض آيات منه — ترجمة تفى بالمطالب اللغوية الدقيقة » راجع Orient. Studien, Nöldeke-Festschrift, Bd. I, S. 34, Anm. 1
وذكر Schwally شوالى رأياً قريباً من هذا فى :
(2. Aufl. von Nöldke's Geschichte d. Qoràns Teil II, S. 219)
إذ قال : «رغم الخطوات الكبيرة التى اجتازها فى البحث فى القرآن منذ Sale سال لا توجد حتى اليوم ترجمة له تثبت أمام هذا العلم أو أمام التفسير » وذكر Paret باريه فى :
"Der Plan einer neuer, leicht kommentierten wissenschaft lichen Koràn ueberstzung, E. Lihmann-Festschrift, Leiden 1935, S. 122" :

« لابد من إيجاد ترجمة للقرآن صالحة للاستعمال يصح الاعتماد عليها » وراجع أيضاً اقتراح صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشريف والمقدمات المنطقية للفتوى التى أصدرها علماء الأزهر فى شأن ذلك الاقتراح ، وفيها يعربون عن رأيهم فى أن التراجم الموجودة للقرآن فيها « أغلاط كثيرة »[1]

وعلى أى حال فانى لازلت إلى اليوم أعزز رأيى الذى صارحت به عام ١٩٠٦

وليست ترجمة القرآن بالأمر الهين ، فقد تنحى عنها أشهر المستعربين من العلماء المستشرقين أمثال (Reiskė) رايسكه و (Sacy) ساسى و (Fleicher) فليشر[2] و (De Goeje) ده غويه و (Nöldeke) نولدكه و (Goldziher) جولدزهر وغيرهم لأسباب منها على الأقل إدراكهم كبير صعوباتها . ولقد كان أغلب مترجمى القرآن مستعربين من الطبقة الثانية ، بل ومنهم من هم دونهم من الطبقة الثالثة والرابعة

على أن أهم الصعوبات التى تعترض مترجم القرآن ويتحتم عليه التغلب عليها هى :

١ — كلمات وجمل غير قليلة وردت فى القرآن لها معنى مبهم أولها أكثر من معنى . وقد تأيد ذلك فى موضع جدير بالاهتمام (السورة الثالثة الآية السابعة — مصحف ميرى) .

---

(١) أنظر صحيفة « الأهرام » بتاريخ ١٧ أبريل سنة ١٩٣٦ الصحيفة السادسة وفيها : « اشتغل الناس قديماً وحديثاً بترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغات المختلفة وتولى ترجمته أفراد يجيدون لغاتهم ولكنهم لا يجيدون اللغة العربية ولا يفهمون الاصطلاحات الاسلامية الفهم الذي يمكنهم من أداء معاني القرآن على وجه صحيح لذلك وجدت فى التراجم أخطاء وضع الناس (اقرأ) كثيرة وانتشرت تلك التراجم ولم يجد الناس غيرها الخ ؛ تراجم للقرآن الكريم بلغات مختلفة اشتملت على أخطاء كثيرة الخ . راجع (Oriente Moderno XVI, S. 292 b.) ومن حاشية من قلم رياسة التحرير وردت فى مجلة (Oriente Mod.) الجزء الثانى صحيفة ١١٣ يتضح أن علماء الأزهر الشريف كان لهم نفس هذا الرأى سابقاً
كذلك راجع نقد (Sarwar) سارواز (وسيأتى ذكر — وهو على حق فى بعض منه — وجاء نقده هذا ضمن مقدمة ترجمته للقرآن موجهة إلى (Safe) سال و (Rodwell) ردول و (Palmer) بالمر وتحمد على
ولا شك عندى أن الأستاذ (Schacht) شاخت أيضا سوف يجد أن حكمه السابق فى حاجة إلى التعديل

(٢) أشك الآن فى أنه كان هنالك مخطوط بقلم فليشر لترجمة القرآن . راجع فى ذلك ملاحظاتى فى : (Nöldeke-Festschrift, a. a. O.)

وَهُوَ الذى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ، فَأَمَّا الذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ »

وفيما يلى نص ترجمة هـذه الآية بالألمانية من قلم الأستاذ الدكتور أ . فيشر :

"Er (Gott) ist es, der Dir das Buch offenbart hat. Es enhält gesicherte (zweifelfrie) Verse, die die Mutter (d. h. den massge benden Kern) des Buches bilden, und andere, die mehrdeutig sind. Diejenigen, deren Herzen zum Zweifel neigen, halten sich an das mehrdeutige in ihm, in der Sucht Zwietracht zu säen und in der Sucht es (eigenwillig) zu deuten. Seine Deutung kennt aber nur Gott. Und die, die fest im Wissen sind, sprechen: 'Wir glauben daran. Alles stammt vo unserm' Herrn'. Aber nur die Verstän digen beherzigen es."

ونزلت هذه الآية على النبى صلعم حين حاول أعداؤه (وكانوا يهودا وأعرابا أذكياء واسعى المعرفة) إثبات وجود غموض ومتناقضات فى الذى أنزل عليه ، وكانت محاولاتهم هذه لا تنقطع

٢ — يحوى القرآن عدداً وفيراً من التوريات عن أشخاص بالذات وعن أعداء عاديين وعن حوادث تاريخية وعن أحوال عامة وأخرى خاصة . وكثير ما يكون إيضاح وتفسير هذه التوريات صعباً غاية الصعوبة ، ذلك لأن هـذه التوريات وردت عادة بأسلوب سهل ممتنع لم يرد فيها أى اسم . وفى الروايات العربية القديمة عنها تناقض كثيراً كشف عن عدم كفايتها ، ويوجد هذا التناقض فى تفاسير القرآن وفى كتب الحديث وفى أقدم السير للرسول ، إلا أن التمحيص قد يساعدنا على استقراء حالات كثيرة منها

٣ — جمع القرآن وترتيبه ينقصه الوحدة أو الترتيب التنسيقى أو الترتيب التاريخى للسور ، وقد تتألف السور الطويلة من وحى نزل مرات عديدة لأسباب متباينة وفى أوقات مختلفة ، ولهذا كان غالباً من الصعب تبينها وإدراك كنهها

٤ — توجد للقرآن عدة قراءات ، وغالباً ما يُعلل وجودها إلى عاملين أحدهما أن الوحى لم يدون فى حينه ومنذ بدايته بطريقة منتظمة ، بل بقى إلى أمد بعيد يتناقل أغلبه بالرواية . والعامل الثانى أن الخط العربى الذى كتبت به الآيات القرآنية بادئ ذى بدء لم يكن وافياً ، إذ كان ينقصه الحروف المتحركة وغيرها من علامات الشكل ، كذلك كان ينقصه التفرقة الصحيحة بين الحروف الساكنة . ولهذا كان اختيار واحدة من القرارات المحتملة لتلك المخطوطات ليس بالأمر الهين . وقد قام المسلمون فى العصر الحديث بأداء أهم جزء من ذاك العمل[1]

وكان من جراء تلك الصعوبات أن اختلفت التفاسير العربية للقرآن الكريم منذ العصور الأولى للإسلام فقد تباينت تبايناً كلياً فى تفاسير مواضع كثيرة من القرآن . وليس بالأمر النادر أن يورد بعض المفسرين ستة معانٍ أو أكثر لموضع من المواضع العويصة فى القرآن ليتخيروا منها ما يشاء . ومع ذلك لا يمكن بحال من الأحوال أن نستغنى عن هذه التفاسير ، وفى الغالب لم يَعْنِ المترجمون الغربيون العناية الكافية بهـذه التفاسير حين قيامهم بترجمة القرآن . ومن المحقق أن البعض أهملها لأن فهمها كان عليهم عسيرا . أما الذين عنوا فلم يكن لدى الأولين منهم خاصة سوى التفاسير المتأخرة فقط ، تلك التفاسير التى جاوز فيها الشرح المذهبى التأملى لكتاب الله التفاسير التقليدية القديمة التى لازالت تعتبر إلى حد ما تاريخية لغوية (وأهم هذه التفاسير تفسير الطبرى)

ومن هذا البيان يتضح أن الانسان لن يكون فى وسعه أن يدرك كل دقائق القرآن . ولذلك فالمترجم الأمين يضطر دائما إلى التشكك فى صحة عمله ، كما يضطر إلى تدوين مختلف المعانى المحتملة .

« للبحث بقية »

ابراهيم ابراهيم يوسف

---

(١) انظر

Noeldeke's Geschichte d. Qorâns, 2 Aufl. Teil III. (Von G. Bergsfrasser U. O. Pretzel), S. 205 ff. und Pretzel, Die Wissenschaft d. Korân lesung, in Islamica VI, S. iff. 230 ff., 290 ff.